

المحاضرة الثانية

التفسير العلمي بين المنهج والاتجاه

من الباحثين من عد التفسير العلمي منهجاً من مناهج المفسرين .
ومنهم من جعله اتجاهًا من اتجاهات التفسير في العصر الحديث .
ومع أن البعض يرى أن هذا التقسيم هو أمر هامشي لا اعتبار له .

إلا أن الحقيقة خلاف ذلك فثمة فرق كبير بين الاتجاه والمنهج يتضح
من خلال الرجوع إلى معناهما اللغوي والاصطلاحي .

فأما الاتجاه فهو مأخذ من الوجه أو الوجهة، كما في قوله تعالى:
﴿وَلِكُلِّ وِجْهٍ هُوَ مُؤْلِهَا﴾ [البقرة: ۱۴۸]، وقال تعالى عن نبيه إبراهيم عليه السلام:
﴿إِنَّ وَجْهَهُ لِلَّذِي فَطَرَ الْكَوْكَبَاتِ وَالْأَرْضَ حَزِيفًا﴾ [آل عمران: ۷۹]،
وقال تعالى عن نبيه موسى عليه السلام: ﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْفَاءَ مَدِينَةَ﴾ [القصص: ۲۲].

جاء في اللسان: «وجه كل شيء مستقبله.. والجهة والوجهة جميعاً:
الموضع الذي توجه إليه وتقصده، وضل وجهة أمره أي مقصد.. والوجه
والتجاه: الوجه الذي تقصده» .

المحاضرة الثانية

والاتجاه في الاصطلاح: الهدف الذي يتوجه إليه المفسّر ويجعله قصداً له في تفسيره.

أما المنهج: فأصله في اللغة النهج وهو الطريق الواضح، ونحو الأمر وأنهج واضح^(٢)... قال تعالى: ﴿لِكُلِّ جَعْلَنَا مِنْكُمْ شَرِيعَةٌ وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة: ٤٨] وفي المعجم الوسيط: «نهج الإنسان الطريق سلكه وبينه... والمنهاج والمنهج: الخطة المرسومة، ومنه منهاج الدراسة ومنهاج التعليم؛ وجع المنهج والمنهج: منهاج»^١.

وهي الاصطلاح تعرّف منهاج المفسرين بنـ «الخطط العلمية الموضوعية المحددة التي التزم بها المفسرون في تفاسيرهم» .

وبناءً على ما سبق فقد اتضحت الفرق الكبير بين الاتجاه والمنهج، فالاتجاه المفسـ هو ما يغلب على قصده من التفسير، ومنهجـه خطـته العملية التي يصلـ بها إلى هذا الهدف الذي قصـده.

فهل يسـوغ حينـئـذـ أن نعدـ التفسـير العلمـي منهـجاً بـمعـنى أنه مجرد خـطة وطـريـقة يـسـيرـ عليها المـفسـرـ أمـ أنهـ فيـ حـقـيقـةـ الـأـمـرـ هـدـفـ وـقـصـدـ يـسـعـىـ المـفسـرـ

المحاضرة الثانية

إليه من خلال مناهج متفاوتة يسلكها أهل التفسير العلمي للوصول إلى هدفهم بدليل اختلاف الطريقة والخطة بين من يؤلفون في التفسير العلمي، فمنهم من يجمع الآيات المتعلقة بموضوع علمي تجريبي محدد في مكان واحد ثم يفسرها تفسيراً علمياً، ومنهم من يسير على حسب ترتيب الآيات في المصحف فيفسر الآيات ذات المضامين العلمية الكونية في مواضعها، ومنهم من يتوسع فيقبل النظريات والفرضيات، ومنهم من يقتصر على الحقائق العلمية دون سواها مع أنهم جميعاً يتّحدون في القصد الذي اتجهوا إليه، وهو استخدام مكتشفات العلم الحديث في إيضاح معانٍ الآيات القرآنية وتوسيع مدلولاتها.

* * *

المحاضرة الثانية

تاريخ التفسير العلمي وأبرز المؤلفات فيه

تاريخ التفسير العلمي

مع أن العصر الحديث شهد طفرة هائلة في المؤلفات في التفسير العلمي، إلا أن بدايات ظهور هذا اللون من التفسير ترجع إلى القرن الخامس الهجري، وتحديداً إلى أبي حامد الغزالي المتوفى سنة (٥٠٥ هـ) الذي دافع عن هذا الاتجاه ودعا إليه بقوة، لأن «العلوم كلها داخلة في أفعال الله عزّ وجلّ وصفاته، وفي القرآن شرح ذاته وأفعاله وصفاته، وهذه العلوم لا نهاية لها وفي القرآن إشارات إلى مجتمعها والمقامات في التعمق في تفصيله راجع إلى فهم القرآن، وب مجرد ظاهر التفسير لا يشير إلى ذلك، بل كل ما أشكل فيه على النظارة و اختلف الخلائق في النظريات والمقولات ففي القرآن رموز ودلائل عليه يختص أهل الفهم بدركها» .

و زاد الغزالي في إيضاح تأييده للتفسير العلمي في كتابه: جواهر القرآن حيث سمي الفصل الخامس منه: «كيفية انشعاب سائر العلوم من القرآن»، فذكر علوم الطب والنجوم وهيئة العالم وهيئة بدن الحيوان وتشريح أعضائه، ثم مثل بعض الآيات التي لا يتم تفسيرها في رأيه إلا بمعرفة بعض العلوم، كعلم الطب في قوله تعالى: «وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ» [الشعراء: ٨٠]، وعلم الهيئة والفلك في قوله تعالى: «وَالْقَمَرَ

المحاضرة الثانية

فَدَرَنَهُ مَنَازِلَ» [٢٩]، قوله: «يُولَجُ الْأَيْلَلِ فِي النَّهَارِ وَيُولَجُ النَّهَارَ فِي الْأَيْلَلِ» [الحديد: ٦]، فيه: «وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِعُسْتَقَرِ لَهَا» [بس: ٣٨] وعلم تشریعه . عضاء في قوله: «يَأَيُّهَا إِلَّا إِنْسَنٌ مَا غَرَّكَ بِرِبِّكَ الْكَبِيرِ ﴿٦﴾ الَّذِي خَلَقَكَ فَإِنَّمَا يَعْلَمُ فَعَدَلَكَ»^(١) [الانفطار: ٦-٧].

وخلال القرن السادس بُرز الفخر الرازى (ت ٦٠٦ هـ) بوصفه علىًّا شخصًا من أعلام التفسير العلمي من خلال تفسيره الكبير (مفآتيخ الغيب) بل إنه اشتد كثيراً على من لا يرى هذا التوجه، ووصفهم بالجهل والحمق فقال: «ربما جاء بعض الجهال والحمقى وقال: إنك أكثرت في تفسير كتاب الله - تعالى - من علم الهيئة والنجموم، وذلك على خلاف المعتاد، فيقال لهذا المسكين: إنك لو تأملت في كتاب الله - عز وجل - حق التأمل لعرفت فساد ما ذكرته...» .

أما ابن أبي الفضل المرسي - ت ٦٥٥ هـ - فقد نقل عنه السيوطي قوله عن القرآن: «قد احتوى على علوم أخرى من علوم الأولئ، مثل الطب والجدل والهيئة والهندسة والجبر والمقابلة والنجامة وغير ذلك» .

وفي القرن الثامن الهجري ظهر بدر الدين الزركشي (ت ٧٩٤ هـ) كمؤيد قوي للتفسير العلمي حيث عقد فصلاً في كتابه (البرهان في علوم القرآن) عنوانه: في القرآن علم الأولين والآخرين. قال فيه: «وفي القرآن علم الأولين والآخرين وما من شيء إلا ويمكن استخراجه منه لمن فهمه

المحاضرة الثانية

الله تعالى» .

أما جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ) فقد أكد على تأييده التفسير العلمي فقال بعد أن ساق كلام ابن أبي الفضل المرسي السابق في تأييد التفسير العلمي: «وأنا أقول: قد اشتمل كتاب الله العزيز على كل شيء، أما أنواع العلوم فليس منها باب ولا مسألة هي أصل إلا وفي القرآن ما يدل عليها، وفيه عجائب المخلوقات وملوك السموات والأرض، وما في الأفق الأعلى وما تحت الثرى... إلى غير ذلك مما يحتاج شرحه إلى مجلدات» .

ولا يمكن للباحث أن يُغفل أعلاماً أيدوا هذا الاتجاه كالبيضاوي (ت ٧٩١هـ) في أنوار التنزيل، والنسيابوري (ت ٧٢٨هـ) في غرائب القرآن؛ والألوسي (ت ١٢٧٠هـ) في روح المعاني؛ ومع ذلك فالملاحظ هو القلة النسبية لأعداد المهتمين بالتفسير العلمي، فعلى امتداد ما يقارب ثمانية قرون لم يستطع الباحثون في اتجاهات التفسير أن يجدوا أكثر من ثمانية مفسرين اهتموا بالتفسير العلمي، وهو عدد قليل بالنسبة للمفسرين على امتداد القرن.

كما أن معظم هؤلاء المفسرين الثمانية لم يمارسوا التفسير العلمي عملياً في تفاسيرهم بحيث يصبح اعتباره اتجاهًا لهم، بل إنهم اكتفوا بتأييد النظري والدعوة إلى التفسير العلمي، يُستثنى منهم الفخر الرازي الذي كان رائداً

المحاضرة الثانية

بحق للتفسير العلمي ومارسه عملياً في تفسيره: مفاتيح الغيب .

فإذا أضفنا لذلك أن مصطلح التفسير العلمي ذاته لم يكن موجوداً قبل العصر الحديث وأن مفهوم التفسير العلمي عند السابقين اقتصر على استخراج أصول العلوم والصناع من القرآن، أو الدعوة العامة إلى التفكير والتدبر في ملوكوت السموات والأرض وعجائب قدرة الله تعالى في خلق الإنسان والحيوان، فإننا نجزم حينئذ بصواب عد التفسير العلمي اتجاهها معاصرًا حديثاً في التفسير، لا سيما وقد كثر المهتمون به في العصر الحديث، وشاعت المؤلفات فيه وانتشرت بشكل غير مسبوق وأفرد بمصنفات مستقلة، واستخدمت وسائل التقنية الحديثة في نشر التفسير العلمي عبر التسجيل الصوتي أو المرئي، وعبر موقع شبكة الإنترنت فضلاً عن نشر الكتب والأبحاث والمقالات والمحاضرات في مجال التفسير العلمي وصاحب ذلك إنشاء (الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة)، التي تتبع رابطة العالم الإسلامي ومقرها مكة المكرمة وتهتم بإقامة المؤتمرات والندوات والمحاضرات، وطباعة الكتب والدوريات المتعلقة بالتفسير العلمي.

المحاضرة الثانية

أبرز المؤلفات في التفسير العلمي

يمكن تقسيم المؤلفات إلى قسمين:

أو هما: الدراسات التأصيلية النظرية التي تناولت التفسير العلمي وحكمت له أو عليه.

القسم الثاني: المؤلفات التي مارس أصحابها التفسير العلمي عملياً في كتبهم.

ومع التأكيد على صعوبة حصر جميع المؤلفات لكثرتها إلا أن المقصود من هذا المطلب هو الرصد التاريخي لمسيرة التفسير العلمي وشيوخه في العصر الحديث دون التزام باستقصاء جميع ما كتب في هذا المجال.

القسم الأول: أبرز الدراسات التأصيلية النظرية حول التفسير العلمي:

- ١ - التفسير العلمي للقرآن في الميزان. د. أحمد عمر أبو حجر.
- ٢ - التفسير العلمي للقرآن الكريم. د. عبد الله الأهدل.
- ٣ - اتجاهات التفسير في العصر الحديث. د. عبد المجيد المحاسب.
- ٤ - اتجاهات التفسير في مصر في العصر الحديث. د. عفت الشرقاوي.
- ٥ - اتجاهات التفسير في العصر الحديث. د. مصطفى الحديدى الطير.
- ٦ - اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر. د. فهد الرومي.
- ٧ - اتجاهات التجديد في تفسير القرآن في مصر. د. محمد إبراهيم شريف.
- ٨ - تيارات التفسير في مصر والشام في العصر الحديث. د. فضل عباس.
- ٩ - مناهج المفسرين. د. مصطفى مسلم.

المحاضرة الثانية

- ١٠ - تعريف الدارسين بمناهج المفسرين . د. صلاح الخالدي.
 - ١١ - مباحث في إعجاز القرآن. د. مصطفى مسلم.
 - ١٢ - تأصيل الإعجاز العلمي في القرآن والسنة. عبد المجيد الزنداني.
 - ١٣ - الفرقان في إعجاز القرآن عبد الكرييم الحميد.
 - ١٤ - إعجاز القرآن الكريم. د. فضل حسن عباس.
- القسم الثاني: أبرز المؤلفات التي مارس أصحابها التفسير العلمي:
- ١ - الجواهر في تفسير القرآن الكريم. طنطاوي جوهري.
 - ٢ - العلوم الطبيعية في القرآن. يوسف مروة.
 - ٣ - الإعجاز العلمي في القرآن. أحمد عبد السلام الكرداني.
 - ٤ - القرآن ينبوع العلم والعرفان. علي فكري.
 - ٥ - كشف الأسرار النورانية القرآنية. محمد أحمد الإسكندراني.
 - ٦ - التفسير العلمي لآيات الكونية في القرآن. حنفي أحمد.
 - ٧ - الكون والإعجاز العلمي للقرآن. منصور حسب النبي.
 - ٨ - ما دل عليه القرآن مما يعضد الهيئة الجديدة القوية البرهان. محمود شكري الالوسي.
 - ٩ - مطابقة المخترعات العصرية لما أخبر به سيد البرية. أحمد محمد الصديقي الغماري.

-
- ١٠ - القرآن والعلوم الحديثة. محمود أبو الفيض المنوفي.
 - ١١ - الإعجاز العلمي في القرآن. د. البشير التركي.
 - ١٢ - القرآن والكشف الحديثة. وحيد الدين خان.
 - ١٣ - معجزة القرآن. د. نعمت صدقى.
 - ١٤ - القرآن وإعجازه العلمي. محمد إسماعيل إبراهيم.
 - ١٥ - موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم. عبد الرحيم مارديني.
 - ١٦ - الإسلام والطب الحديث. عبد العزيز إسماعيل.
 - ١٧ - الإسلام في عصر العلم. محمد أحمد الغمراوي.
 - ١٨ - الإعجاز الطبي في القرآن. د. السيد الجميلي.
 - ١٩ - بين الدين والعلم. عبد الرزاق نوفل.
 - ٢٠ - القرآن والطب. أحمد محمود سليمان.
 - ٢١ - القرآن والطب. د. الحاج محمد وصفي.
 - ٢٢ - القرآن والعلم الحديث. عبد الرزاق نوفل.
 - ٢٣ - لفتات علمية في القرآن. يعقوب يوسف.
 - ٢٤ - تنبية العقول الإنسانية لما في القرآن من العلوم الكونية. محمد بخيت المطيعي.
 - ٢٥ - الغذاء والدواء في القرآن الكريم. جمال الدين مهران.

-
-
- ٢٦ - القرآن والعلم. محمد جمال الدين الفندي.
 - ٢٧ - مع الله في السماء. أحمد زكي.
 - ٢٨ - من رواي العجائب في القرآن الكريم. محمد جمال الدين الفندي.
 - ٢٩ - التوحيد. عبد المجيد الزنداني.
 - ٣٠ - توحيد الخالق. عبد المجيد الزنداني.
 - ٣١ - علم الأجنحة في ضوء القرآن. عبد المجيد الزنداني وأخرون.
 - ٣٢ - إنه الحق. عبد المجيد الزنداني.
 - ٣٣ - إعجاز القرآن الكريم في وصف أنواع الرياح والسحب والمطر. عبد المجيد الزنداني وأخرون.
 - ٣٤ - الإعجاز العلمي في القرآن والسنة في الارتفاعات العالية والإحساس بالألم. عبد المجيد الزنداني وأخرون.
 - ٣٥ - من أوجه الإعجاز العلمي للقرآن الكريم في عالم البحار. عبد المجيد الزنداني وأخرون.
 - ٣٦ - آيات الله في الأفق. عبد المجيد الزنداني.
 - ٣٧ - آيات الإعجاز العلمي في القرآن الكريم. د. زغلول النجار.
 - ٣٨ - من آيات الإعجاز العلمي، السماء في القرآن. د. زغلول النجار.
 - ٣٩ - صور من تسبيح الكائنات لله. د. زغلول النجار.

-
- ٤٠ - الإعجاز العلمي في القرآن الكريم الكون والماء. د. سليمان الطراونة.
 - ٤١ - من أوجه الإعجاز العلمي في عالم النحل. د. عبد المنعم الحفني
 - ٤٢ - الإعجاز العلمي في آيات السمع والبصر في القرآن الكريم. د. صادق الملاوي ود. حسين الليبيدي.
 - ٤٣ - من أوجه الإعجاز العلمي للقرآن الكريم في عالم النبات. د. قطب فرغلي ود. السيد زيدان.
 - ٤٤ - الإعجاز العلمي في القرآن. حزة الصيرفي.
 - ٤٥ - تفسير الآيات الكونية. د. عبد الله شحاته.
 - ٤٦ - معجزة القرآن. محمد متولي الشعراوي.
 - ٤٧ - التوراة والأنجيل والقرآن الكريم بمقاييس العلم الحديث. د. موريس بو كاي.
 - ٤٨ - الإعجاز العلمي في القرآن الكريم. د. زكريا هميسي.
 - ٤٩ - الإعجاز العلمي في القرآن. محمد السيد أرناؤوط.
 - ٥٠ - إعجاز القرآن على مر الأزمان. غنيم كارم السيد.
 - ٥١ - الجانب العلمي في القرآن. د. صلاح الدين خطاب.
 - ٥٢ - موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن. د. سليم عبد الحليم.
 - ٥٣ - الإعجاز العلمي في القرآن. سامي محمد علي.

-
-
- ٤ - حول الإعجاز العلمي للقرآن الكريم. د. توفيق علوان.
 - ٥ - القرآن والعلم. عبد الرزاق نوفل.
 - ٦ - أضواء من القرآن على الإنسان. عبد الغني الخطيب.
 - ٧ - خلق الإنسان بين الطب والقرآن. د. محمد علي البار.
 - ٨ - القرآن في عصر العلم. محمد أحمد الغمراوي.
 - ٩ - القرآن الكريم والعلوم الحديثة. أحمد كامل ضو.
 - ١٠ - الكون بين العلم والدين. جمال الدين الفندي.

* * *